

يَدُ الرَّبِّ تَصْنَعُ وَعَاءً آخَرَ بَدَلًا مِنَ الْفَاسِدِ

(Arabic – The Lord can shape another vessel.)

أحبائي.. حديثنا اليوم مَوْضُوعُهُ: يَدُ الرَّبِّ تَصْنَعُ وَعَاءً آخَرَ بَدَلًا مِنَ الْفَاسِدِ

ومن سفر إرميا النبي الأصحاح الثامن عشرَ نقرأ العَدَدَيْنِ الثالثَ والرَّابِعَ:

"فَنزَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ. وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ عَمَلًا عَلَى الدُّوَلَابِ. فَفَسَدَ الْوِعَاءَ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُهُ مِنَ الطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ. فَعَادَ وَعَمَلُهُ وَعَاءً آخَرَ كَمَا حَسُنَ فِي عَيْنِي الْفَخَّارِيُّ أَنْ يَصْنَعَهُ".

قالَ الرَّبُّ لِإِرْمِيَا النَّبِيِّ: " قَدْ أَنْزَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ وَهُنَاكَ أَسْمَعُكَ كَلَامِي. وَحِينَ نَزَلَ إِرْمِيَا إِلَى بَيْتِ الْفَخَّارِيِّ. فَإِذَا بِالْفَخَّارِيِّ يَصْنَعُ عَمَلًا عَلَى الدُّوَلَابِ. فَفَسَدَ الْوِعَاءَ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُهُ مِنَ الطِّينِ بِيَدِهِ. فَعَادَ وَعَمَلُهُ وَعَاءً آخَرَ كَمَا حَسُنَ فِي عَيْنِي الْفَخَّارِيُّ أَنْ يَصْنَعَهُ". ثُمَّ قَالَ لَهُ: "أَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهَذَا الْفَخَّارِيِّ؟. هُوَذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هَكَذَا بِيَدِي". ثُمَّ نَصَحَهُمْ قَائِلًا: "فَارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيِّ وَاصْلِحُوا طَرَفَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ". إِنَّ الرَّبَّ قَادِرٌ أَنْ يَعْمَلَ مِنَ الْإِنَاءِ إِذَا فَسَدَ إِنَاءٌ آخَرَ كَمَا يَحْسُنُ فِي عَيْنِي الْخَالِقِ الْمُبْدِعِ أَنْ يَصْنَعَهُ.^١

لَقَدْ جَاءَ بِالْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ سِفْرِ إِرْمِيَا مَا تَحَدَّثَ الرَّبُّ بِهِ إِلَى رَجُلِ اللَّهِ إِرْمِيَا. لِيُعْلَنَ لَهُ الْإِرْسَالِيَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهَا وَأَعَدَّهَا لَهُ. وَيَا حَبِذَا لَوْ تَأَمَّلْنَا بِإِمْعَانِ قَوْلِ الرَّبِّ لِعَبِيدِهِ. لَقَدْ كَتَبَ إِرْمِيَا بِسِفْرِهِ يَقُولُ: فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلًا: " قَبْلَمَا صَوَّرْتَنِي فِي الْبَطْنِ عَرَفْتَكَ. وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَسْتِكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ". لَقَدْ وَجَدَ إِرْمِيَا أَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِتِلْكَ الْإِرْسَالِيَّةِ. فَقَالَ لِلرَّبِّ: "أَوْ يَا سَيِّدُ الرَّبِّ. إِلَيَّ لَا أَعْرِفُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لِأَيِّ وَلَدٍ". فَقَالَ الرَّبُّ لَهُ: "لَا تَقُلْ إِلَيَّ وَلَدٌ. لِأَنَّكَ إِلَى كُلِّ مَنْ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ. تَذَهَبُ وَتَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا أَمُرُكَ بِهِ. لَا تَخَفْ مِنْ وُجُوهِمْ لِأَنِّي أَنَا مَعَكَ لِأَتُفِذَكَ يَقُولُ الرَّبُّ". ثُمَّ قَدَّمَ إِرْمِيَا اخْتِبَارًا رَائِعًا وَوَصَفًا لِمَا حَدَّثَ وَمَا أَرُوعَهُ مِنْ اخْتِبَارٍ. إِذْ كَتَبَ يَقُولُ: "وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي". وَقَالَ الرَّبُّ لِي: "هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلَامِي فِي فَمِكَ. انظُرْ قَدْ وَكَلْتُكَ هَذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ. لِيَتَقَلَّعَ وَتَهْدَمَ وَتَهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِي وَتُغْرَسَ". ثُمَّ قَالَ لَهُ: "أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لِأَجْرِيهَا".^٢

وبالْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ قَالَ الرَّبُّ لِإِرْمِيَا: "مَلْعُونُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَلَى الْإِنْسَانِ. وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَةً. وَعَنْ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ". ثُمَّ قَالَ: "الْقَلْبُ أَخْذَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ. مَنْ يَعْرِفُهُ؟. أَنَا الرَّبُّ فَاحِصٌ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكَلْبِيِّ. لِأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طَرَفِهِ. حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ". فَإِذَا كَانَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي لَا تَبْتَسِرُ بِخَيْرٍ. وَلَكِنْ مَجْدًا لِاسْمِهِ فَقَلْبُهُ كُلُّهُ مَحَبَّةٌ وَحَنَانٌ عَلَى عِبِيدِهِ. فَلَقَدْ جَاءَ بِالْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ ذَلِكَ الْوَعْدُ الَّذِي يُبَشِّرُ بِكُلِّ الْخَيْرِ: "لَأَنِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. أَفْكَارَ سَلَامٍ لَا شَرٌّ لِأَعْطِيكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً. فَتَدْعُونَنِي وَتَذَهَبُونَ وَتَصَلُّونَ إِلَى فَأَسْمَعُ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ فَأُوجِدُ لَكُمْ". وَبِالْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ سِفْرِ إِشْعِيَاءَ يَقُولُ الرَّبُّ: "اغْتَسِلُوا تَتَّقُوا اعْزَلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنِي كَفُوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ انصِفُوا الْمَظْلُومَ اقضُوا لِلْيَتِيمِ حَامُوا عَنِ الْأَرْمَلَةِ". "هَلَمْ نَتَحَاجَّ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنَّ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقَرْمِزِ تَبْيِضُ كَالثَّلَاجِ. إِنَّ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تُصِيرُ كَالصُّوْفِ".^٣

مَا زَالَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعْمَلُ بِقُوَّةٍ لِصِيَاغَةِ جَدِيدَةٍ لِأَيِّ إِنَاءٍ فَاسِدٍ إِلَى آخَرَ يَحْسُنُ فِي عَيْنِي الْفَخَّارِيِّ الْأَعْظَمِ. وَبِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَمْثَلَةٌ عَدِيدَةٌ تُؤَكِّدُ ذَلِكَ. وَفِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ كَمَا فِي كُلِّ الْعُصُورِ السَّالِفَةِ مَنْ شَهِدُوا وَمَنْ يَشْهَدُونَ لِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَفَاضِلَةِ الَّتِي غَيَّرَتْهُمْ. وَمِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا نَأْخُذُ زَكَرِيَّا رَئِيسَ الْعَشَارِيِّينَ مَثَلًا. كَانَ زَكَرِيَّا مِنْ أَرِيحَا

^١ استمع الى الإنجيل

^٢ سفر التكوين ١: ٣١ ،

^٣ سفر إرميا ١٨ : ٦ & ١١

^٤ سفر إرميا ١ : ٤ - ١٢

^٥ سفر إرميا ١٧ : ٥ & ٩ & ١٠ & ٢٩ : ١١ - ١٤ ، سفر إشعياء ١ : ١٦ - ١٨ ،

رئيساً لجباة الضرائب في تلك المدينة. يجمعها كغيره بأساليب خالية من العدالة ولا تعرف الرحمة. كل ما كان يعنيه أن يرضى الرومان المستعمرين، بسلب أموال شعب مملوب على أمره. ليملاً بها خزائن القصر في روما.¹

كان زكا غنياً كغيره من جباة الضرائب وقتذاك. سمع زكا عن يسوع المسيح فطلب أن يراه من هو. لم يقدر زكا من الجمع الغفير لأنه كان قصير القامة. ولكن ذلك العشار كان مدفوعاً برغبة قوية ليرى ذلك الشخص العجيب الذي سمع عنه. والذي له سلطان أن يقيم موتى ويشفي مرضى. ويجري معجزات كاشباح خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين. تلك الرغبة القوية شجعت كى يتغلب على كل المعوقات. فركض متقدماً وصعد إلى جُميزة لكى يرى من هو يسوع. وكان الرب يسوع في ذلك الوقت مُرمعاً أن يمر من هناك. فلما جاء يسوع إلى المكان نظر إلى فوق ورأى زكا. فدعا قائلاً: "يا زكا. أسرع وانزل. لأنه ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك".²

كان زكا العشار مُستاقاً أن يتقابل مع الرب يسوع. إن ذلك الفخاري القدير لا يتوانى إطلاقاً إذا رأى قلباً مُخلصاً مُستاقاً لرؤياه كقلب زكا. لقد أتى إليه في الحال وناداه باسمه. فأسرع زكا ونزل وقبله فرحاً. ابتداءً بعض من الجمع يتذمرون كعادتهم قائلين: "إنه دخل لبيت عدو خاطئ". ما كانوا يدركون أن الوعاء إذا فسد فالفخاري الأعظم قادر أن يجعل منه وعاء آخر كما يحسن في عينيه أن يصنعه. ورأى الجميع ذلك التغيير العجيب الذي طرأ على زكا. فلقد وقف زكا وقال للرب يسوع: "ها أنا يا رب أعطني نصف أموالى للمساكين. وإن كنت وشيت بأحد أريد أربعة أضعاف". فإذا بالرب يقول أمام الحاضرين: "اليوم حصل خلاص لهذا البيت. إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم". ثم قال الرب عن نفسه: "لأن ابن الإنسان قد جاء لى يطلب ويخلص ما قد هلك".

قال بولس الرسول: "أنا الذي كنت قبلاً مُجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكني رجعت لأى فعلت بجهل في عدم إيمان. وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع". لقد أصبح بولس بعد تقابله مع الفخاري الأعظم "إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للسيد". فيعمل روح الله القدوس في الإنسان الخاطئ الفاسد يتحول إلى وعاء آخر مقدساً نافعاً للسيد. يقول بولس الرسول: "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً". اعترف إرميا بضعفه. فمد الرب يده ولمس فمه وقال له: "ها قد جعلت كلامي في فمك. فم وكلمتهم بما أمرت به. لا ترتع من وجوههم. هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض. فيحاربونك ولا يقدرُونَ عليك لأى أنا معك يقول الرب لأنقذك".³

لقد جاء الرب يسوع لى "يطلب ويخلص ما قد هلك" فهل حصلت عزيزى القارئ على خلاص الرب؟ إن آمنت بقلبك بما صنعه الرب من أجلك خلصت ونلت الحياة الأبدية. لقد جاء بسفر إرميا ذلك النص: "أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخاري يقول الرب؟". لقد استطاع الرب أن يصنع منى وعاء آخر. وما زالت يد الفخاري الأعظم تشكل في يوماً بعد يوم. لقد قال الرب لإشعياء النبي: "هكذا تكون كلمتى التي تخرج من فمى. لا ترجع إلى فارغة بل تعمل ما سررت به. وتتجح فيما أرسلتها له". إن الرب بكلمة يُغير الفاسد ويجعله صالحاً. وبيده يُغير الوعاء الذى لا نفع منه إلى وعاء نافع. إن يسوع المسيح "هو هو أمس واليوم وإلى الأبد". إنه الفخاري العجيب. القادر أن يصنع من كل منا وعاء آخر. كما يحسن في عينيه أن يرانا من اشترانا بدمه.⁴

ليتك أختي تشرك معى في تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أنت الإله القدير تستطيع أن تصنع منى ما يحسن في عينيك. ها أنا بين يديك سيدي. أحتاج إلى يدك لتلمسنى وتشكلنى من جديد. وليروحك لي عمل فى. وليخلق مما أصبح غير صالح فى شيئاً صالحاً لخدمتك. لأحياً حسب مشيئتك. ولتمجيد اسمك. أرفع صلاتى فى اسم فادى ومخلصى ربى يسوع. وآثقا أنك تستجيب لى. يا من وعدت بقولك: من يقبل إلى لا أخرجهُ خارجاً.

أختي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ إنجيل لوقا ١٩: ١ - ١٠

² إنجيل متى ١١: ٥

³ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٣ - ١٤ ، الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٢١ ، سفر إرميا ١: ٩ & ١٧ - ١٩

⁴ سفر إشعياء ٥٥: ١١ ، الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٨